الفضائل القومية

وكيف نفهمها

بقلم الأستاذ أحمد رمزى بك عضو مجلس الشيوخ

الأمم بفضائلها . فهى لا تسمو الا بالأخلاق القويمة يتحلى بها الأفراد ولا يتخلون عنها فى الشدة والرخاء، أو فى العلانية والسر. فهى هى فى الغنى والفقر ، وفى الحرب والسلم ، وفى الرضى والغضب. وأقومها ما ظهر فى أوقات الشدة ، وخيرها ما انصرف الى خير الوطن ومصلحة الجماعة .

والفضائل درجات أدناها الكف عن الرذيلة. ويدخل فيها زهدك فى مال غيرك ويسمونه فى هذه الأيام " بالنزاهة " يخصونها بالمال . فان أقل ما ينتظر الناس من أحدهم ألا يسرق مالهم ولا يختلسه ولا يأخذه رشوة إن كان موظفا .

ومن عجب أن يشيع بين الناس أن "النزاهة" صفة يتفاضل بها بعضهم على بعض ، مع أن الانسان لا يستحق أن يتمتع بمرتبة الانسانية اذا كان لصا . فكيف يعد هذا الجيل من المفاخر الاتصاف "بالنزاهة" حتى الوزير اذا مدحوه قالوا إنه "نزيه" يريدون أنه لا يسرق كأن الأصل فى عموم الناس أو فى عموم الوزراء أن يكونوا سراقا ، فاذا كان منهم عفيف فهو المفرد العلم الذى يشار اليه بالبنان ويعرف بهذه الصفة بين القوم . وهم لو علموا لرأوا فى هذا القول انتقاصا شنيعا للأمة التى ينسب اليها هذا الممدوح وتجريحا للمدوح نفسه بأن أظهر صفاته أنه عفيف لا يسرق أو صادق لا يكذب وهكذا .

ومثل ذلك أن يقال فلان "ظريف" وقد يكون من لوازم ظرفه الكذب واخلاف الوعد . أو أن يقال إنه "صريح" أى أنه سفيه فى القول، أو أنه "يحفظ كرامته" وما به من كرامة أهينت ولكنه يتجنى على الناس ليؤذيهم ، أو أن يقال فلان عادل يقضى بالحق بين

الناس وما فى ذلك عناء وإنما العناء فى الظلم يتجنبه العاقل الذى يخشى عقاب الله والناس . فان أنصف الناس من نفسه فى قول أو فعل فذلك هو العدل الذى يتصف به القليل، وهو على ما فيه من خير ومغالبة للهوى لا أراه ينطوى على فضل كبير ، فليس فى أن تأخذ مالك وتدع ما عليك فضل يذكر .

ومن المناقب التى يمتاز بها بعض الناس أن يكون مصلحا يعنى باصلاحه الخير للناس فهو لا يفتأ يتلمس الصالح فالأصلح لاسعادهم وعلاج ما بهم بنظام أو قانون أو منشأة أو موعظة حسنة أو غير ذلك . والقدرة على الاصلاح نعمة اختص الله بها القليل من عباده فما كل واحد براغب فيه ، خصوصا فى بلادنا هذه ، وما كل راغب فيه بقادر عليه بنفسه أو بما تهيأ له من أسباب . وطوبى لمن قدر على الاصلاح فأصلح وأفاد فان فيه لذة لا تعد لها لذة فى الحياة ولا يشعر بها أولئك الذين لا يعرفون فى مجالسهم غير حديث الوزارة وتغييرها أو الوظائف ودرجاتها أو الخيل وسباقها أو ما هو مثل ذلك أو أسفل منه .

ومن المحامد أيضا ، إيثارك الناس على نفسك ولو كان بك خصاصة ، والتضحية بمالك ونفسك لخير بنى وطنك والذود عن بلادك بنفسك ومالك، ولولا أن فى هذه الخصال حرمانا من المال أو الحياة أو منهما معا لما عددناها من الفضائل، وان كان فيها انكار للذات كبير إذ لا كرامة لإنسان يعيش فى وطن هضيم أو يكتنف الشر بنيه و يؤذيهم . يعرف هذا من يحب وطنه حقا و يفديه حقا . بالنفس والنفيس . يعلم أن عزته فى عزته وهوانه فى هوانه ، فلا يشعر وهو يدفع عنه العوادى الا بما يمليه عليه فؤاده من الحب له ، وعقله من واجب النجدة والذب عنه والذود عن حياضه ، فهو عرضه ومناط عزه وكرامته، وهو موطن هواه وهو مراحه ومغداه ، ومتى تشبعت النفس بما للوطن من أنعم على أهله لا تحصى وكرامة لا يدانيها شىء فى الحياة وتجلى لها ما تفعله الأمم الراقية لا فرق بين الذاهب منها والحاضر ولا بين صغيرها وكبيرها من الاستهانة بالحياة والمال والأبناء فى سبيل الوطن ، هان عليها كل عزيز للدفاع عنه ، واستعذبت الموت لاستقلاله واسعاده . ولا شك أن من واجبات الأفراد أيضا اطاعة القوانين وتبليغ الحكومة عما يخل بالأمن والتقدم اليها بالشهادة بالحق واعانتها على اظهار الحقائق ، ودفع الضرائب .

ومن هذا الذى ذكرنا نستطيع أن نعرف الطريق التى نسلكها بأولادنا لادراك الواجبات الوطنية ، والذياد عن الوطن ، وللاستعداد لمختلف التضحيات. هذه الطريق هى أن نحبب الوطن اليهم بأن نعرفهم أنعمه على ساكنيه قولا وعملا فنظلهم بظلال حكم عادل هنىء يجنون فيه ثمار الاستقلال والحريات المختلفة ، والمساواة فى حدود القانون الحكيم ، ويحفظ لهم كرامتهم ، ويعلمهم ، ويصون أموالهم وأبدانهم ، ويجنبهم بوائق الظلم من أى نوع ومن أى ناحية ليذادوا لبلادهم حبا ولحكومتهم اخلاصا. ومتى تبادلت الأمة وحكومتها الاخلاص فقد عثرنا على أقوم سبيل للاتحاد وأقوى حصن للدفاع واجتمعت للحكومة وللأمة أسباب السعادة والمحبة والحرص على كل ما هو محبوب فى هذه الحياة وكل ماهو مشرف لها .

أحمد رمزى

من حكم الامام على

— الاسلام هو التسليم . والتسليم هو اليقين . واليقين هو الأداء . والأداء هو العمل . فالاسلام عمل .

— لو أذن للوتى فى الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى .

— لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ حقوق أخيه فى ثلاث : فى نكبته ، وغيبته ووفاته .

— استنزلوا الرزق بالصدقة .

— صونوا إيمانكم بالصدقة ، وحصنوا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا البلاء بالصبر والدعاء.

— لا تكن ممن يرجون الآخرة بغير العمل ، ويرجئون التوبة بطول الأمل .

— الراضى بفعل قوم كالداخل معهم فيه. وعلى كل داخل فى باطل إثمان : إثم العمل به وإثم الرضا به .